في القياس فإن ذلك مجازه وجهان : أحدهما أن يكون مَن نطق به لم يُحكِم قياسَه على لغة آبائهم وإمّا أن تكون أنت قَصّرت عن استدراك وجه صحّته . ولا أدفع أيضا مع هذا أن يسمع الفصيح لغة غيره مما ليس فصيحا وقد طالت عليه وكثر لها استماعه فَسَرتْ في كلامه ثم تسمعها أنت منه وقد قَوِيت عندك في كل شئ من كلامه غيرِها فصاحتُه فيستهويك ذلك إلى أن تقبلها منه على فساد أصلها الذي وصل إليه منه . وهذا موضع متعب مؤذٍ يشوب النفس ويُشْرِى اللبس إلا أن هذا كأنه متعذّر ولا يكاد يقع مثله . وذلك ان الأعرابيّ الفصيح إذا عُدِل به عن لغته الفصيحة إلى أخرى سقيمةٍ عافها ولم يبهأ بها . سألت مرة الشجريّ أبا عبد ا ومعه ابن عمّ له دونه في فصاحته وكان اسمه غُصْنا فقلت لهما : كيف تحقّران (حمراء) فقالا : حميراء . قلت : فسوداء قالا : سويداء . ووالِيتُ من ذلك أحرفا وهما يجيئان بالصواب . ثم دَسَسْت في ذلك (عِلْباء) فقال غصن : (عليباء) وتبعه الشجريّ . فلما هّم بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال : آه ! عليبىّ ورام الضمة في الياء . فكانت تلك عادة له إلا أنهم أشِدّ استنكارا لزيغ الإعراب منهم لخلاف اللغة لأنّ بعضهم قد ينطق بحضرته بكثير من اللغات فلا ينكرها